التحـول المستمـر من الاقليميات الضيقة الى الاتصال الأوسع، والتفاعل الأوسع، وربما الانصهـار في بنى جديـدة أوسع فأوسع؛ هي، أيضاً، أفق نضالي، فالشعوب المضطهدة، والمعتدى عليها، ما كان يمكن، ان تتحرك، وتتحرر، جزئياً او كلياً، لولا التعاون الاممي؛ وهي، كذلك، افق لتطور نواظم العلاقات الدولية الحالية، تطوراً نوعياً، فتزول النواظم النابعة من علاقـات الاستغلال والسيطرة والاستعمار، الخ، لتحل محلها النواظم التي تبين التجربة الانسانية أنها ضرورية من أجل المصير الانساني المشترك. لنتصور هيئة الأمم المتحدة، وقد تحولت الى جهاز دولي اكثر انجازاً بكثير مما هو عليه حالياً، ويقوم بشكل اكمل، فأكمل، دون تنـاقضات داخلية أساسية، بمهامه المختلفة في تطوير كل جوانب الاقتصاد، وكل جوانب الثقافة والتعليم، في العالم كله؛ ألا تُحل، حينئذٍ، جميع مشكلات العالم آلياً؟

مصلحة الطبقة العاملة القومية تسير في خط واحد مع الاممية البروليتارية. فالنضال البروليتاري لا ينفصل والمصير الاممي البروليتاري لا ينفصل.

لكن طرحت بعض فئات الديمقراطيات ـ الاشتراكية، في نهاية القرن التاسع عشر، خطاً «قومياً» ماركسياً، كان يختلف توظيفه، واطاره النظري بالتالي، من مكان لآخر. وظّف من أجل مسـاعدة الحكومات في حشد العمال للحرب، ومن أجل تأجيل النضال البروليتاري باسم معركة قومية ما، ومن أجل صياغة ديماغوجيات مختلفة، أدت، فيما أدت اليه، الى مختلف الفاشيات، التي ظهرت فيما بعد.

□ ربما يمكن تصنيف التحرر الوطني، الذي ظهر بصورة خاصة في القرن العشرين، ضمن اطار المنحى القومي الذي مررنا عليه بسرعة. في ذلك شيء من التوسع، لان التحرر الوطني ليس لديه، دوماً، ادعاءات ماركسية، ولكنه يؤلف تطوراً تقدمياً، اجمالاً، تحت قيادة، غالباً بورجوازية؛ فهو «قومي» ـ تقدمي.

النقطة الهامة، هنا، هي معرفة من أين تأتي تقدمية «التحرر الوطني»؟ انها تأتي، في الواقـع، من أمرين: الاول هو التناقض مع الاستعمار، او الامبريالية؛ والثاني كونه يفتح المجال لتطور ديمقراطي لشعوب العالم؛ فالشعوب المستعبدة لا تستطيع ان تشارك في رسم المصـير العـالمي: الآخـرون يتكلمون ويتحركون باسمها؛ اما الشعوب المتحررة، الصغيرة والكبيرة، فقد صارت اعضاء في الاسرة الدولية، وتساهم، الى هذا الحد او ذاك، في مختلف المجالات.

حتى يكون «التحرر الوطني» تقدمياً، يجب ان يكون معادياً للاستعمار، أو للأمبريالية. وبغير ذلك لا يفقد صفته التقدمية فحسب، وانما حتى هويته كـ «تحرر وطني». والاستعمار لا يمكن ان تقوم به سوى دولة رأسمالية متطورة، او يقع المرء في مغالطات سخيفة، مثل «الاستعمار الفلسطيني» للبنان، او للمسيحيين؛ او «الاستعمار الهندي» للسيخ، الخ. فلا الفلسـطينيـون، ولا الهنود، بقادرين على ان يستعمروا؛ والحركات اللبنانية الموجهة ضد الفلسـطينيين، او السيخية ضد الهنود، لا علاقة لها بالتحرر الوطني، من جهة، وموجهة ومغذاة من قبل الاستعمار، من جهة اخرى.

هذا لا يعني، مثلاً، فقدان حق السيخ بالنضال من أجل رفع المظالم الشوفينية التي يتعـرضـون لهـا، ولكن من خلال الكفـاح الديمقـراطي والبروليتاري على مستوى الهند بمجموعها؛ أما تجزؤ الهند الى دويلات طائفية صغيرة، فهو هدف رجعي وامبريالي في الوقت